النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

حلقة ترجمة الروائع العالمية

عقدت اللجنة الدولية لترجمة الروائع التابعة لمنظمة الاونسكو حلقة لدراسة شؤون الترجمة في بيروت بين السادس والتاسع من الشهر الماضي . وقد اشترك في اعمال هذه الحلقة الاساتذة الدكتور رئيف ابي اللمع مندوباً عن الجامعة العربية والدكتور عبد العزيز سيد عتيق مندوباً عن مصر والمسيو روجه كايوا عن الاونسكو وسيف الدين الكيلاني عن المملكة الاردنية الهاشمية وعمر عبد العزيز مهدي عن العراق والدكتور حكمت هاشم عن سوريا ، يضاف اليهم اعضاء اللجنة وهم الدكتور ادمون رباط الرئيس بالوكالة والاستاذ فؤاد البستاني امين السر العام والاستاذ عبدالله مشنوق والاستاذ حايم ابو عز الدين المندوب الدائم للجامعة العربية والسيد موري رئيس المجلس الثقافي البريطاني ببيروت والدكتور جميل صليبا عميد كلية التربية في الجامعة السورية والمسيو جاك برك مدير المعهد التدريبي للغة العربية الحديثة . وقد حضر الحلقة ايضاً الدكتور عدنان ترسيسي القائم بأعمال المفوضية اليمنية ببيروت والاستاذ خيري حماد المستشار الصحفي للسفارة السعودية ببيروت كمندوبين مستمعين ، والاستاذ ميشال اسمر مؤسس الندوة اللبنانية المدير الاداري للجنة .

وقد عقدت هذه الحلقة اربع جلسات عامة عرضت في اثنائها للنقاط المفصلة في جدول اعمالها وانتهت من ذلك الى التوصيات التالية :

١ – ان يصار الى توسيع اللجنة بحيث تشترك فيها الدول العربية بالمساواة .

وفي هذا السبيل توصي الحلقة بان يلجأ الى الاجراءات التالية :

أ – تعتبر الحلقة مفتوحة . ب – تضع اللجنة مشروع التعديل الجديد . ج – ترسل اللجنة هذا المشروع بصورة رسمية الى وزارات المعارف في البلاد العربية .

د – تعقد الحلقة اجتماعاً اخيراً يحضره مندوبو الدول العربية لبيان ملاحظات حكوماتهم على المشروع الجديد . هـ – تجتمع اللجنة لاقرار النص المتفق عليه و – تخابر اللجنة الحكومة اللبنانية والاونسكو بشأن وقائع المشروع الجديد

٢ – ان يفهم بالروائع امهات الكتب التي تمثل الفكر في اسمى مظاهره معنى ومبنى ، فتشمل التراث الفكري في الفلسفة والاخلاق والادب من شعر ونثر كما تشمل تطور العلم والفن ، فلا يقتصر على اختيارها من زمان معين أو لغة معينة بل تختار من كل ما يمثل الانسانية في ماضيها البعيد والقريب على ان تراعى في ذلك حاجات الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها وحاجات الامم الاخرى الى التراث الفكري العربي .

٣ – ان يختار من المترجمين من يتوافر فيه امتلاك اللغتين المنقول عنها والمنقول اليها ، ومعرفة الفن المنقول فيه ، وعلو الثقافة ، والتمرس السابق بفن الترجمة ، الى سلامة الاسلوب وحسن الاداء في اللغة التي ينقل اليها .

٤ – ان يختار لكل ترجمة مراجعان لا يقلان عن المترجم ثقافة وتضلعاً لغوياً وفنياً ، ويستحسن ان يكون احدهما من ابناء اللغة المنقول اليها الكتاب.

٥ – ان يكون لدى اللجنة مجموعة تامة باسماء اشهر المترجمين على ان يكون لكل مترجم ملف جامع .

٦ – ان يرفع معدل المكافأة على الترجمة فيكون من ٣ الى ٥ قروش لبنانية لكل كلمة من كلمات الاصل ، اذا كان نثراً . اما اذا كان الاصل شعراً فيرتفع المعدل من ٥ الى ٧ قروش . واما ترجمة الشعر بالشعر فيتفق عليها اتفاقاً خاصاً .

٧ – ان تجمع اللجنة بالتعاون مع الاونسكو والجامعة العربية والدول والمؤسسات الاختصاصية لوائح تفصيلية بما يرغب في ترجمته من الروائع عربية واجنبية . فتختار منها ما يحقق الاهداف المبينة في المادة الثانية .

٨ – ان تجمع اللجنة لوائح تامة لما ظهر في البلاد العربية من الكتب المترجمة للاستنارة بها تفادياً للازدواج في العمل ، وتوخياً للتعاون مع جميع المؤسسات المعنية بالترجمات في سبيل تنسيق اعمالها .

٩ – ان تعمل اللجنة على دعوة عامة تجمع امهات دور النشر في العالم العربي فتباحث اصحابها في مختلف الشؤون التي تتعلق بنشر الكتب المترجمة وتوزيعها.

١٠ – ان تعنى اللجنة باخراج نشرة دورية (فصلية او نصف سنوية) ترافق فيها حركة الترجمة من العربية واليها في مختلف اقطار العالم متممة بذلك مهمة الاونسكو في دليل الترجمة .

١١ – ان تستنير اللجنة بالانظمة المتبعة لدى الاونسكو ولدى كبار الناشرين في درس حقوق المترجم وحقوق اللجنة في المراجعة والنشر واعادة الطبع .

١٢ – ان تعتمد اللجنة مبدأ طبع الترجمة دون الاصل ، على ان يكون لها الحق في بعض الحالات الخاصة بطبع الاصل مع الترجمة على عدد معين من النسخ .

١٣ – ان توحد قواعد الاخراج والنشر على اسلوب مستقى من قواعد غيوم بوديه وسوفاجيه والدكتور صلاح الدين المنجد .

* * *

هذا وقد نشرت الحلقة بياناً بأعمالها منذ تأسيسها عام ١٩٥١ فكانت الكتب التي نشرتها هي الكتب التالية :

أ – بالعربية من الفرنسية : مقالة الطريقة لديكارت ترجمة جميل صليبا – روح الشرائع (جزآن) لمونتسكيو ترجمة عادل زعيتر – أصل التفاوت بين الناس والعقد الاجتماعي لروسو ترجمة عادل زعيتر .

ب – بالفرنسية من العربية : ايها الولد للغزالي ترجمة توفيق الصباغ – الارشادات والتنبيهات لابن سينا ترجمة غواشون – كتاب البخلاء وكتاب التاج للجاحظ ترجمة شارل بيلا .

ج – بالانكليزية من العربية : ايها الولد للغزالي ترجمة جورج شيرر – تهافت التهافت لابن رشد (جزآن) ترجمة سيمون فان دن برغ .

د – بالاسبانية من العربية : ايها الولد للغزالي ترجمة اسطفان لاتور

اما الكتب التي تحت الطبع فهي الموناد ولوجيا لليبنز ترجمة البر نادر والسياسة لأرسطو ترجمة ا . بربارا وتقسيم العمل الاجتماعي لدوركايم ترجمة رمضان لاوند .

وهناك قيد المراجعة حكاية الشتاء لشكسبير ترجمة رشدي معلوف والمسالك والممالك لابن حوقل ترجمة كرامرز والمنقذ من الضلال للغزالي ترجمة عبدالجليل

وهناك اخيراً كتب قيد الترجمة من اللغات الاجنبية الى العربية وهي دون كيخوته لسرفنتس ترجمة موسى عبود ومقالتان في السياسة او الحكم المدني وبحث في الادراك المدني وكلاهما للوك وترجمة ماجد فخري وخواطر لبسكال ترجمة ادوار البستاني .

سوريا

تأملات في معرض دمشق الدولي

دلالة المعرض

من الواضح ان معرض دمشق الدولي ليس مجرد ظاهرة تجارية عالمية ، فلقد تعدى في الحقيقة حدود المسألة الاقتصادية ، وأصبح يتطلب نظرة أشمل وأعمق تهم المفكر المسؤول ، وتناسب هذا الواقع المتشابك الذي صارت اليه حادثة المعرض ، من تظاهرة اجتماعية كبرى ، ومشكلة سياسية وأخرى ثقافية ، وما يختبىء وراء كل هذا من معنى قومي وآخر كياني انساني ، لا يلمس مشاعر اللهو والمحانية عند المفكر ، ولكنه يدعوه لان يقف منه موقفاً قيمياً جذرياً يكفل لظاهرة المعرض ان تبرز بروزها الأعمق ، من وراء اضوائها ، وابنيتها الضخمة ، وحجافل بشرها ، المتوزع في مكانها النسبي .

ولقد يمكن للأفراد الكثيرين الذين اشتركوا في تخطيط المعرض وبنائه وهندسته ، لمختلف الجهود والارادات والآمال ، يمكن لأصحابها ان يكونوا قد تصوروا مسبقاً جدارة ما يعملون ، وقيمة ما يصنعون . ولكن هذا هو المعرض وحدة فنية جبارة ، تسبق تصورها ، وتتجاوز جهودها بعينها وتكاد تقوم بذاتها ، تعبر عن مطلقها ، وكأنها لا تعترف على صانع . ومن هذه الزاوية ، يصح لنا ان نعتبر ظاهرة المعرض ، كما نعتبر اذناجاً ابداعياً ، تحيط به كل مسؤوليات الفن الصحيح . فالمعرض بذلك يرتفع من مستوى الفرجة الى مستوى التأمل . ويفلت من يد اصحابه — ان كان له اصحاب — ويضحي موضوعاً معروضاً ، انه للآخرين . وفي هذه الصيغة الجديدة تتشكل زوايا للصلة الفردية . فرغم كون المعرض ظاهرة جمعية ، ولكنه يصبح قابلا للتعاطف الفردي . ولنلاحظ انه تعاطف من طرف واحد . انه سلبي في قلب الكلية الايجابية . انه يعطيني انه يملأ ابعاد حواسي . وتتموضع كتله ، على الأرض التي للجميع ، ولكن بالنسبة لنقطة مركزية اقف عليها انا وحدي . ومن هناك امتلكه بشكل ما . وتتنضد اشكاله في ابعادها الهندسية ، ويبقى لي ان اشتق منها معناها بالاضافة الى موقفي الوجودي . وتتواثب الوانه المحللة ضمن اطياف انوار ، لتنيره لي ، لتكسر خطوطه حسب زاوية الإصغاء الخاصة بي ، لتبرز ملامحه في موسيقى الظل والنور واللون ، فاعرفه انا من خلالها . ان هيئته متكاملة ، متدرجة العمق والبعد ، محملة بدلالته الكلية ، بحيث ينشأ الجزء بوظيفته السرية نشوء اصيلا يدل على ارومته في الوحدة الأساسية . انه يقوم . وانا لا املك الا ان اتقبله كما هو . فهل اقول انه يفرض نفسه علي . واني مجبر تلقاءه ان ابقى على خام الصور الحسية ، دون ان اشكلها في صيغة خاصة بي ، امتلك المعرض من خلالها ، بصورة من الصور ؟ هل يمكن لي انا المتفرج الزائر ، ان افهم المعرض ؟

في الحقيقة يبدو من ا قض على الفكر ان يحوز على الأشياء حيازة كيانية اكثر منها حسية . ولعلنا نحن العرب ، في ماضينا القريب الفقير لم يكن من الميسور لنا ، حضارياً وعقائدياً ، ان نطلق فعاليتنا الحسية اطلاقها الطبيعي ، ولا ان نعمل الذهن فيما هو متشيىء . لقد كانت حواسنا معطلة ، وبالتالي بدون موضوع . وكان ذهننا اجوف اجتر اعماقه حتى احالها الى خواء . وقطع عليها طريق المؤونة من الحواس ، واليوم يمتلىء مكاننا فجأة . وتصب الحضارة في هدوئنا الجامد صخب الآلة . فتتعرض حواسنا للأنوار والألوان والأشكال الكبيرة ، واما ذهننا فتصدمه المفاجأة ، انه كله في جذبة مرضية نحو خارج نفسه انه يقلع جذوره ، ويعدو وراء الصورة والصدى والردة . فاذا رأيت الى زوار المعرض راعك انهم طفليو الوجه والعين والحركة ، مشدودون الى حواسهم بقوة لا تقهر . يعانون نوعاً من القسر الخارجي لاحد له . انهم يخضعون ولا يفهمون . يعجبون ويتضعون . يعجبون ويذلون . ينظرون ويتبلدون . يتأوهون ويخجلون . ويضيعون تحت حواس بعضهم بعضاً .

فماذا يفعل المعرض بالنسبة لألوف العرب ؟

قبل كل شيء يجب ان نفحص هذه المسألة من هذه الفكرة المبدئية . ان المعرض يخرج المدينة العربية من حالة الخفاء الكامل الى العلانية المعروضة الكاملة . انه يفتح الغرفة المغلقة . ويخلع ستائر النوافذ السوداء . ويرمي اخيراً بتلك الكتل ، تلك الكائنات المجهولة الغريبة ، يرميها الى العراء والى الصخب الوحشي ، والنور المجنون لتنشده بوجوهها .

وهناك بين البضائع من كل بلد ، بين رموز الحضارات ، بين الحديد والقماش والخشب والورق ، في دروب الأجنحة الفنية ، تتعرض هذه الكائنات لأن تكون مجانية ، منشورة ، بدون لغز ، بدون عالم آخر ، وأكاذيب محجبة ، وعيون حولاء .

تحت الأنوار المسلطة ، وبين بضائع الأجانب ، وحضارات الانسان في كل جهة من الأرض الرهيبة ، يعاني انسان الحارات ، انساننا المختبىء فضيحة عجيبة مسعورة .

ان وجهه يتمطى في عجب لاحد له ، في دهشة غبية . انه الآن يتساءل ليس امام خواء السماء ، وصلبان الكنائس ، وعواميد الجوامع ، وصنمرة الموت .. عن معنى كل هذا . انه يسأل عن معنى التراكتور ، والحصادة ، والهيلكوبتر ، والنظام ، وكل تلك الأشياء الكبيرة الضخمة التي يخافها .

ماذا يفعل انساننا المسكين تلقاء ماليس هو بتمصة عنتر وعبلة والمجد الغابر والتقاليد المداسة ، والاخلاق النبيلة ، وفضائل السلب الفقيرة ، والاعيب السياسة ، والترف المدنس وغيرة الله والدين واليوم الآخر ، وسلسلة من الانبياء لا آخر لها . هل يمكن ان نقول ان انساننا يقبل التحدي فعلا . انه لا يدري كيف يجيب . فليس امامه في هذا المكان الباهر المتلألىء ذكرى او امل او وهم انه تلقاء واقع .. ردت عليه اجنحة الدول العربية .. بصور لا نهاية لها على الجدران . وخواء هائل على الأرض !

ذلك هو الرد النفسي الذي يتشنج خلاله الزائر العربي وهو يعي تدريجياً

النشاط الثقافي في الوطن العربي

رصيده الحالي من الحضارة والوجود والواقع الفني الزاخر . ونحن نتمسك بهذا الرد ، انه اشارة الحياة ، رغم مافيه من خذلان صارخ ، وسادية ضارية .

ولكن هذا الرد النفسي لن يبقى في حدود التغير النسبي من سطح كأننا العربي . فان احتقار الذات امر يتناول ليس فقط المستوى النفسي ، بل قيمة الوجود كله . في الاحتقار تصبح قضية الوجود هي موضوع الشك والموت ، او الثورة والبعث . فاما ان أقبل ان اكون وعلى اي شكل ، واما ان ارفض . وبالتالي ان اتحدى وان اكشف حتماً جداريتي .

ان عطاء المعرض السلبي ، لا يشكل قط اول مناسبة يحتك من خلالها انساننا بالانسان التكنيكي الحضاري . غير ان الاحتكاك قد اقتصر حتى الآن على النخبة من امتنا ، على هؤلاء الذين لا يمكنهم ان يعبروا عن تجربتهم الا بالقرف والتعالي المريض . واما المعرض فانه هزة جمهور . ان الشعب العربي هو الذي يتعرض ، من ابسط طبقاته حتى اعلاها ، لمحنة المعرض . انه يتلاقى ويتناظر ، ويتحاور ، وتنعكس وجوهه وازياؤه وطريقة نظره ومشيته ، ويصغي الى لهجاته ، ويتعرف على مجاهيله وهو يتسكع هكذا في الشوارع المنارة حتى الفضيحة .

واما ماذا ينشأ عن هذه المجاورة والمحاورة والتلاقي ، فهو مالا يمكن قياسه الا بالنسبة لما سيظهره المستقبل من حركة رهيبة مزمجرة تعمق ، تتعالى تدريجياً من خضم الأمة .

لقد كانت وجوه الأمة منكسة نحو اسفل ، كل يتعبد اقدامه . واليوم تتناظر هذه الوجوه وتتقابل ، وبينها وجوه اخرى ، وجوه واثقة قوية واضحة ترتكز الى بنيان جبار من ارادة السيطرة والخلق في التراب والمعدن والانسان نفسه .

ان الأمم تتنافس في ارضنا . هذه حقيقة اخرى من محنة المعرض الدولي . فكأن الأجنحة في الحقيقة ، من هذه الوجهة السياسية فقط ، تظهر كنماذج اساسية هذه التيارات الفاعلة في حنايا مجتمعاتنا العربية . التيارات الأجنبية التي تعمل خربها ، وبدون استثناء على نسفنا من ارضنا ، وفصلنا عن أرومتنا . انها طفيان عملاق ، على جنيننا . تحرك فينا غريزة التقليد ، عقلية التشبه الكسولة وتؤجل قدر المستطاع ، الاثارة الخلاقة .. هذه الاداة الكبرى للكشف عنا . هل تريد اجنحة الدول الشيوعية مثلا بهذا الإلحاح المستميت ، ان نقلدها ؟ هل تعتقد انه جاء دورها بعد ان اشبعنا تقليداً لنماذج الغرب الاستعماري ؟

ان احداً لا يمكنه ان يستفيد من العربي العبد . فالعربي السيد وحده هو الذي يمكنه ان يصادق وان يصافح ، وان يعطي لقضية التنافس على ارضه معنى آخر يشرف الصديق الحقيقي . لقد ذهب عصر التقليد بالنسبة لأمة العرب منذ ان قال عبد الناصر كلمته الفاصلة . ان ههنا في جذر امة العرب نسغاً جديداً سيخلق شجرتها الخاصة ، شخصيتها المبدعة . هذا ما يجب ان تدركه اجنحة الدول الاشتراكية ، التي تستأثر باهتمام جمهورنا ، من دون غيرها . ان الحضارة لا تعمم ولا تقلد ، ولكنها تستفز وتشجع .

نعم ان المعرض عطاؤه سلبي لأصحاب ارضه . انه اروع مغامرة لكشفنا وكشف غيرنا تلقاء هذه الارادة الوحيدة التي نملكها . الارادة التي تقول انه سيكون لنا حضارة ، بقدر ما تملك الحضارات الأخرى من تعديات على كرامتنا . لن نبقى عجباً ودهشة ، وجيباً للاستيراد ، وسوقاً لعرض بضائعهم ووكالات لجميع معامل الأرض . هذه الارادة هي التي تسمح لنا ان نصبر على المعرض ، بل وان نشجعه .. لأنه سيكون لنا يوماً ماكله . انه امل ، ولكن ما اعظم العذاب الذليل الذي يكمن في تربته !

ومن جهة اخرى فان جمهورنا المشدوه يمر سريعاً باجنحة الدول الغربية . انه يعرف كل قطعة من معرضها ، ان جميع اسواقنا معرض دائم لها . وخلف كل تلك المصنوعات ، يحس جمهورنا تعقيداً مخيفاً يعانيه انسانها ، هناك ما وراء البحار . ان جمهورنا لا يطمئن الى عدالة هذه المصنوعات ، لا يرى خلفها حضارة حقيقية جديدة ، بل مدنية تحتضر في الكم ومعادلاته ، في العلم ومختبراته وهو ازاء هذا الاشكال ، يخشى الحضارة ومعملها . ان الآلة لن تأتي لوحدها

ويتجه نحو معروضات الشرق . وهناك كذلك نوع من التعقيد باسم الآلة . ان العدالة فيها بسيطة . قريبة جداً من احساس عربينا . ويتساءل حتماً هل يمكن له ان يؤمن بالحرية وهو يذوب في الكتلة ، وان يفوز بامتيازه الفردي ، وهو يضحي به في سبيل معادلة الكم . جميعهم ، من عرب الى شرق ، يعانون تناقضات الكم . اليس الكم اذن هو ميزة العصر ومصيبته معاً ؟ والعربي الجديد ماذا يفعل تلقاء هذا القسر الهائل . انه يود ان يقبل الصداقة السخية من شعوب العدالة . وهو يدرك تماماً ان مشكلته خاصة .. وان ما تصنعه يداه لن يغير ما بنفسه . انه يعلم ان نقطة البدء ليست من الأداة ولكن مما يستعمل الأداة ، ومع ذلك .. فانها هي نقطة البدء حتماً . ان عربياً ، ارغم التناقض الضاري ، يريد ان يوجد على طريقته الخاصة . يريد ان يستعمل الآلة ويتحمل مسؤوليتها ، شرط ان يبقى سيدها دائما .

ان العرب يردون اليوم الرد السياسي المناسب على مبادهة الغرب الاستعمارية في حادثة القنال ، الرد الذي هو حصيلة قوى هائلة لليقظة . ولكن يبقى الرد التكنيكي ، والرد الثقافي .

ان عربينا الحاضر يريد ان نخلق فلسفة ، وان نخلق صناعة . انه عصر النبي والحداد .. واما الفارس فقد وجده العربي .

هكذا اذن ، فان المعرض ازمة متشنجة تبعث الرعشة والفزع في انساننا . تعلمه ان يعنى بحواسه ويديه ورأسه . تتحداه ان يكون . تبعث في نفسه مع ذلك فرح شهر ، وحركة شهر ، وتوتر شهر غني . وهو في هذا الخضم ، لايدري من اين تأتيه الريح ، لكنه يحاول ان تكون له ذمته الخاصة . هذه هي حريتنا الوحيدة في المعرض .

الاوركسترا السمفونيـــة

وتقوم كذلك ، في اعنف واقعة للمعرض هذا العام ، ظاهرة الأوركسترا السمفونية ، تقوم ازاء العربي المأخوذ وكأنها ظاهرة ميتافيزيقية مشخصة . انه الآن امام اعمق روحية للغرب ، امام الخلاصة الأساسية لثقافة الغرب ووجوده . فهو يرى الآن هذه الموسيقى بدل ان يسمعها فقط ، وتصبح الأصوات مرتبطة بآلاتها ، وهذه بمواهب الانسان المبدع الجالس على المسرح ، وبالنظام العقلي الدقيق ، وكل ذلك اخيراً بعصا الروح المركزية لهذا الفن الجبار ، قائد الأوركسترا الذي قد يحوز على مكانة فنية تناهض مكانة المؤلف ان لم تعادلها .. اذ هو الذي يكفل تحقيق فكرة المؤلف ، وكم فاق التحقيق مشروعه

النشاط الثقافي في الوطن العربي

حتى لقد يفجأ الفنان نفسه ، وتأخذه الروعة ، فيعتقد ان ما صنعه حقاً انما هو من فعل قوة خارقة . ان انتاجه اعظم منه .

هذا هو موقف الفنان امام عظمة التنفيذ لإنتاجه من قبل الأوركسترا الفيلهارمونيه ، فما هو موقف المتذوق ، بل المتذوق او المتفرج العربي ، من عظمة غريبة عنه كل الغرابة ، قريبة منه كل القرب . !

غريبة عنه ، لأنه لم يسبق ان زارت مثل هذه الأوركسترا ارض بلاده ولم يتح له ان يعاني حضور اللحن الكامل ، الا من خلال المسجلات الباردة المجردة . هذه المسجلات التي عوضته الى حد ما ، ولكنها لم تؤسس له تجربة مباشرة يعيش من خلالها اللحن وابطاله ومثله .

غريبة عنه لأن تيار الوجود العربي الجديد لم يصل بعد من النمو الى درجة التعبير عن ذاته بمثل هذه الوسيلة الخطيرة من الثقافة . ولأن احداً من حكامه لم يفكر ان يكون لشعبه مسرح يعرض عليه روحيته ويواجهها .

ومع ذلك فان هذه العظمة قريبة منه . والدلائل كثيرة تنهض من مستوى العدد الهائل الذي اقبل على الحفلات القليلة لأوركسترا فينا ، الى مستوى التأمل في حالة الوعي الذي اسس ، لهذا العدد الكثيف ، ارادته في ان يحضر السمفونيات

لقد كانت ادارة المعرض تتوقع خسارة فادحة لهذه الحفلات .. وظنت انها تضحي فقط بهذه الأموال الطائلة – كلفة الأوركسترا – من أجل الغرباء ، الأجانب الذين سيحضرون وحدهم مثل هذه الحفلات .. ويرضون عن المعرض ولم يكن هناك حساب مطلقاً للعدد الفقير من الطلاب والمدرسين والموظفين وحتى العمال – رغم غلاء اسعار البطاقات – الذين اجتمعوا واحتشدوا في الدرجات الأخيرة من المسرح . وهذا يثبت أنه لو كان السعر اخفض ، لما بقيت درجة ما – للنخبة – نصف فارغة ، وملأ (الشعب) المسرح .

ان احداً لا يعير قيمة حقيقة لهذا التطلع العظيم لمفاصل الثقافة والفن الذي ينبعث من اعماق شعبنا . هذه الارادة في الوجود ، احسن وجود ، التي هي كل زاد اليقظة . الارادة التي لا يتعهدها احد بتربية او توجيه ، ومع ذلك فانها تتحرك ، وتدلها غريزتها الرائعة على الينابيع الحقيقية .

ان شعبنا يحاول ان يفهم حتى متيافيزيقا الثقافة الأوربية . انه ينصت ثلاث ساعات امام حرمة السمفونيات التي تعزفها عبقريات خالصة ، وينفذها نظام مبدع وانسجام مطلق . فهل هذا يفعل شيئاً بالنسبة الى المتشائمين من العراق العربي ؟ وهل يعطي هذا شيئاً من الثقة الى امثال (انيس فليحان)(١) فيقبل ان يقر بأنه عربي امام مايسترو الأوركسترا وأعضائها ، الذين يحاولون ان يوحوا لنا بجدارة شعبهم وامتهم .. غير ما يفعل هذا الموسيقي العربي تماماً.

لقد كان فاغنر يؤمن انه ليس من فن يعبر عن عبقرية الانسان ويكشف عن اصالته خلال اشكال الحضارة المختلفة ، كالموسيقى . وان اي امة لا يمكن ان تعبر عن وحدة روحيتها في التاريخ ، وعن قيم مثاليتها الا بواسطة اسقاط عبقريتها على المسرح الموسيقي . ان الأمة تتأمل نفسها بواسطة الموسيقى . ولكنها تخلد قيمها بواسطة الأوركسترا السمفونية . فان فيها يتلاقى قمة التجريد الاطلاقي ، بعنف الحياة ، وصلتها بالانسان مباشرة .. الانسان العازف ، المحقق لهذا المطلق العميق . وهذا ما حدا بفاغنر الى ان يكرس جزءاً كبيراً من اهداف نضاله الفني ، في سبيل تشييد مسرح موسيقي في مدينة (بيروت) حسب المخطط ، الذي رسمه هو ، ليكمل تحتياتاً امثل لاتحاد الشعر والموسيقى في الأوبرا الفاغنرية . كل هذا لأن الموسيقى ليست اداة للطرب ، او تسلية متهتكة تدخل كعنصر مساعد لاثارة الجنس مع الخمرة والنساء . وليست هي مجرد صوت مط الى مالا نهاية في عدم من الايقاع ، وغيبوبة من التعبير ، وضحولة بالمعنى .

ولقد يدهش بعض الناس عندنا انهم لا يطربون لهذه الموسيقى . ولكن المسألة ليست في مجال الطرب او النشوة الفيزيولوجية . ان الموسيقى السمفونية لا تلمس الحدس الساذج ، كما انها ليست طبيعية خاماً . وهي لانها خالية من كل ايقاع مادي واضح ، ومن كل بساطة فقيرة ، وبعيدة عن اللحن المرتجل ، والانسياب غير الواعي .. تشكل شبه ضجة بالنسبة للاذن الشرقية التي ترعبها كل اثارة ، كل تنبيه صارخ من التحذير الأزلي .

والحقيقة ان هناك اختلافاً جذرياً لا يعبر بين كل من التعبيرين في الموسيقى الشرقية والموسيقى السمفونية . وهناك اختلاف كذلك في الاستعداد الذوقي لتقبل كل من النوعين . ولا يسمح لي هذا المقال الوقتي بالخوض في هذا الموضوع . ولكنني اقول الآن بسرعة ان الموسيقى الشرقية ليس اكثرها عربياً ، والموسيقى الكلاسية ليس كلها غربياً خالصاً . انما كانت الموسيقى الشرقية بنت عصر الانحطاط للشعوب الاسلامية ، فليست هي اذن ظاهرة اساسية للحضارة العربية . وكانت الموسيقى الكلاسية تزدهر مع الحضارة الحديثة ، وتصب فيها تجربة الأمم الحية كلها . ومنها التجربة العربية التي نقلتها موسيقى الأندلس الى اوروبا وادخلت نماذج في الايقاعات والانغام والأجواء والتراكيب الهارمونية . اصبحت جزءاً لا ينفصل عن روح الموسيقى العالمية . ان تراثنا الموسيقي . لايكمن مطلقاً فيما يدعى بالموسيقى الشرقية – اللهم الا الجزء الميت المحنط منه – ولكنه يتابع تطوره منذ التواشيح الأندلسية – التي لا تمت لها بصلة ما يسمى اليوم بالتواشيح الأندلسية الفارسية والتركية – في نسغ الموسيقى العالمية نفسها التي ليست هي في الحقيقة ملكاً لشعب دون آخر . الا بالمقدار الذي تضيف اليها فيه عبقريات قومية خاصة ، شيئاً من ثروتها الفنية الذاتية .

ولكن هذا لا يعني اننا نملك شيئاً من هذه الموسيقى .. اننا لن نحوز عليها ، الا عندما تستطيع حضارتنا الجديدة ان تشارك في تغذيتها ، عندما يمكن ان نطور من قواعدها ، وان نستعملها للتعبير عن روحيتنا الخاصة ضمن اشكال مبتكرة تقدمها لها تجربتنا القومية في المشاركة الفنية الانسانية .

والآن لنتحدث قليلا عن هذه الاوركسترا التي احيت خمس حفلات على مسرح معرض دمشق الدولي . واول ما يسترعي انتباهنا في هذا الموضوع ان القيم الفنية الأولية التي عزتها دعاية المعرض لهذه الجوقة – كانت اكثر من الواقع . فلقد انتظرنا ان نسمع فعلا الى الاوركسترا الفيلهارمونية لقينا المؤلفة من خمسة وثمانين عازفاً . ولكن ما حدث في الواقع هو اننا فوجئنا بأوركسترا محلية عادية تدعى بالأوركسترا السمفونية ، وليس الفيلهارمونية ، وبين الاثنين فرق كبير . واما عدد افراد هذه الاوركسترا فانه لم يبلغ الخمسين مع المبالغة .

ولقد شعر المستمع المتحمس بنوع من خيبة الأمل . فان هذه الأوركسترا لم تستطع ان تفرض شخصيتها على المستمعين . وذلك يرجع لعدة اسباب منها

(١) سيأتي ذكره عما قليل

ما يتعلق بامكانيات هذه الأوركسترا الفنية ، ومنها ما يتعلق بطبيعة المسرح ونوع القطع الموسيقية المختارة .

فمن الواضح ان عدد العازفين في هذه الأوركسترا لا يتناسب وضخامة المسرح الذي يتسع لأكثر من الفي مقعد ، خاصة وان المسرح في العراء يمتص الأصوات ، ويجردها عن رنينها ، ويجعلها حائلة ضعيفة . كل هذا يقلل من هيبة الموسيقى السمفونية التي ميزتها الأولى ، تكمن في شعور الردعة والجلال الذي تحدثه لدى المستمع .

ثم ان هذه الأوركسترا لا تتناسب نوعية عزفها مع متطلبات المسرح المنفتح . ويبدو ان المسؤولين عن هذه الأوركسترا قد استخفوا بجمهورنا ، حتى راحوا يقدمون اليه عيوناً من التراث الموسيقي ، كالسمفونية الأسيانة لتشايكوفسكي من خلال هذه الضآلة في الكم والكيف التي عليها هذه الأوركسترا ، فجاءت شيئاً باهتاً . ولكن هذا الجمهور وفيه الكثير من المتذوقين ، كان مهذباً فرحاً بما تعطيه هذه الأوركسترا ، فكافأها بتصفيق حار . انه يصفق لهذا الحادث العبقري في حياته ، وليس لهذه الإوركسترا بالذات . وتلك هي النقطة التي يجب ان ننتبه اليها ، وان نقدر ظمأ جمهورنا الى مثل هذه الثقافة العالية على عكس ما يتصور المسؤولون .

واما ما انتخب من القطع العالمية لهذه الأوركسترا ، فقد كانت باقة متنوعة لبيتهوفن وفاغنر وتشايكوفسكي وموتزارت ودفوراك وبرامز وشوبان ، تحافظ جميعها على مستوى واحد من حيث القيمة الفنية . ولكن الأسف يعتري الانسان عندما يتراءى له ان هذه الأوركسترا ليست على مثل احترام المستمع لهذه الأعمال الكبيرة الموسيقية ، فتخرجها له بذلك الشكل الهزيل .

والواقع ان مشكلة العدد القليل للعازفين وطبيعة المسرح ، هي التي انتزعت حقاً جلال هذه القطع وعظمتها . بينما كنا نتمنى ان تكون هذه المناسبة قد اكتسبت عدداً لا بأس به من المتذوقين الى صف هواة هذه الموسيقى ، بدل ان تغمر الخيبة قلوبهم ، فيشكون من ضجر وملل كئيبين وهم يصبرون الساعات الطويلة في الانشات القسري .

ورغم كل هذه النواقص بالنسبة للدعاية الكبيرة التي احيطت بها هذه الفرقة ، فانه تبقى لها تلك الميزات التقليدية العريقة التي تتمتع بها جوقة كلاسيكية محترمة .

لقد كان قائد الأوركسترا يحاول ان يحقق المثل الأعلى المطلوب من هذا القائد عادة . ويبدو انه فنان من الطراز الاول ، يقدر قيمة كل صوت وصدى ورنة ولهجة ، حتى لا تفوته نبرة واحدة دون ان يحاول السيطرة عليها واخراجها كما يريد من بين انامل العازف . كان روحاً حقيقية لجسد لا يناسبه تماماً . ولعل هذا ما يفسر لبعض الذين كانوا يستغربون ذلك العنف والقوة التي بالغ في اظهارها من خلال حركاته . لقد كان يشعر ولاشك بهذا التنفيذ الأجرف لتلك الألحان الجليلة . وربما كان عذره الأول خلاء وعراء المسرح .. هذا الذي عرى بالفعل الأصوات من حرارتها ولحمتها المرنانة . والموسيقي وحده هو الذي يقدر هذه الأزمة حق قدرها .

والى جانب القائد المخلص كانت هناك مواهب اصيلة تمسك آلاتها بعظمة ورفعة ، يتمتع بها الموسيقي الذي يعرف مزاياه وتفوقه . وغني عن القول ان العزف كان غاية في الاتقان ، ولكنه لم يبلغ حد الروعة . الروعة التي هي الصفة الأساسية ، والمقياس الوحيد للأعمال السمفونية . وبدونها تتجوف السمفونية كحدث بالنسبة للسمفونية الأسيانة ، التي عريت حتى هيكلها العظمي ، وافتتاحية (مغني نرمبرغ) لفاغنر ، التي اريد منها السيطرة التامة على حواس المستمع .. دون بلوغ ذلك . كان الاتقان بادياً حقاً على العازفين في نظامهم ودقتهم ، وقدرتهم على الانسجام فيما بينهم . وحسب عصا المياسترو .. وروح اللحن . ماذا يفعلون .. لقد كانت الشروط التي يعملون بها اقوى منهم ! هذا العدد القليل .. والمسرح الضائع الجدران والسقف !

ومن الملاحظ ان هذه الأوركسترا المنحدرة من اعرق شعب ومدينة في الموسيقى ، كانت تتفوق حتماً في المعزوفات الجرمانية ، وربما كان احد الأسباب التي جعلت السمفونية الأسيانة وشهرزاد ، تظهران بذلك الضعف الأساسي ، هو ان العازف الألماني من الصعب ان يثق بالانتاج الروسي ، او على الأقل انه لا يفهمه .

ولقد تجلت السمفونية الثانية لبرامز في اروع مظاهرها حقاً رغم صعوبة الدلالة الذهنية لموسيقى برامز ، وبعد هذه السمفونية خاصة عن الألحان الواضحة (Melodie) ، واستغراقها في ذلك التركيب العلمي الفني للموسيقى الخالصة ، والتأليف المنهجي المتماسك . وتنجح الاوركسترا كذلك في عزف القطع الراقصة الخفيفة ليوهان شتراوس ، ابن فينا البار .. وهنا يبدو حقاً كأن هذا النوع هو اختصاص جوقتنا النمسوية . انها تهتز وتوقع وترنم .. وتحلق بموسيقاها الى اعلى قيمة يمكن ان تعطى لهذا النوع فعلا .

وهناك مفاجأة اخرى قدمتها لنا هذه الجوقة هي الموسيقار (أنيس فليحان) العربي اللبناني .

فلقد ادى هذا الموسيقار كونسرتو شومان احسن اداة ، يتمكن منه عربي يقف في صف اي عازف غربي آخر . كان قوياً عنيفاً ، رصيناً .. عميقاً .. يتحسس معاني هذه الموسيقا .. ينفذها وكأنه يبدعها لأول مرة . وان شومان يملك من المتناقضات في الدلالات والآفاق الصوتية والتركيبات التأليفية ، والأجواء الوجودية الفردية ، ما يصعب معه على عازف عادي ان يتفهم تلك الخطوط المتقاطعة المهاجمة ، المتكاثفة في اللونية الغنية لهذا الموسيقار الاشكالي الغريب ، الذي لم يتحمل عقله موهبته ، وقضى مجنوناً .

ولقد قدمت الأوركسترا سمفونية لهذا المؤلف العربي ، لم يتح لي ان استمع اليها ، وان كنت قادراً ان اتنبأ حقاً عن نوعيتها ، وكما نقل لي من خلال آراء بعض المتذوقين الذين استمعوا اليها .

انها من نوع تلك المحاولات التي تريد ان تطبق التكنيك الغربي على الميلوديا الشرقية حسب القواعد الكلاسية الأولى . لقد كانت جميلة كما قيل لي ، وانها تدل فعلا على موهبة ضائعة .. كجميع المواهب في بلادنا .

واخيراً بودي ان انقل تحية طيبة مخلصة لاوركسترا فينا السمفونية وقائدها الأصيل ، وجميع عازفيها المبدعين ، من كل متذوق وهاو لهذه الموسيقى الرفيعة وتحية اخرى لأنيس فليحان .. العربي قسراً عنه !

واشكر ادارة المعرض للجهود التي تكبدتها في سبيل تحقيق هذا الحادث العبقري في حياة الجمهور العربي .

مطاع صفدي

النشاط الثقافي في الوطن العربي

نزار قباني ... كلمة جميلة

لمراسل « الآداب » سعد صائب

ليس غريباً ان يغدو نزار قباني – الشاعر الذي اصطفته الآلهة – مثار اهتمام ادبائنا ، ومعقد دراساتهم ، وهو الذي عرف بموهبته الفذة ، كيف يستلهم ميزات شعره الرفيع ، ويبلور عواطفه المرهفة ، ويظلها بندى تجربته الشعورية العميقة ، ايملأ بها حياتنا الادبية وينميها ، على الرغم من الفتور الذي يرين عليها ، والركود الذي ما انفك يصاحبها . وما احسب ان شاعراً من شعراء الجيل ، استطاع بومضة ابداعه ، ان يفرض شخصيته على قارئيه ، ويعلمهم معاني الجمال والحب والحياة ، ويستأثر بنفوسهم ، ويستهوي بتهاويله البابهم كهذا الشاعر . ويقيني اننا مهما تعمقنا في دراسة فنه ، فلن نستطيع ادراك قيمته ولن نصل الى تقدير ميزاته وخصائصه ، وخذقه في ابرازها ، واشهد ان ظهور نزار قباني في شعرنا العربي الحديث ، هو بداية عصر جديد لهذا الشعر لأنه يحمل طابعه الخاص ، ويترجم عن حركته ، ويوائم ذوقه في تجديد وتحسين.

كتب الاديب منذر الزرا مقالا في صحيفة « اخبار النهار » بعنوان «نزار .. كلمة جميلة » اشار فيه الى شاعرية نزار الخصبة ، ومما اورده في مقاله قوله : « لولم يكن لسورية من شاعر غير نزار قباني لكفى .. اذ اننا نلتقي عند نزار، ليس بالنفحة الرشيقة الراقصة فحسب ، بل بالفكرة التي تمزق الأقنعة لتخرج عريانة مفتحة كازرار الورد في نيسان . وليس الشعر عند نزار صنعة ، قالباً، تركيباً ، انما هو روح طفولية حية قبل كل شيء .. هو هذه النزعة اللهفانة المتدفقة ، هو تلك الوعود التي لن تتحقق ، انه البحث والقلق والامل ، ان الشعر عند نزار هو الطفولة الحقيقية . وهذا ما يذكرني بريلكه ، ذلك الذي قال « احاسيس الطفولة وحدها ، هي التي تخلق الشاعر العبقري فحسب . » وما تجربة نزار الشعرية ؟ انها لقطة فحسب ، نظرة ، دعوة ، ولكن هل يكفي ذلك لأن تخرج التجربة في اطارها الشعري ، حية فاعلة متدفقة ؟ لا . لأن الاسلوب في الشعر هو الشعر كله ، ونحن اذا حذفنا طريقة التعبير عند نزار ، وعند كل شاعر ، فماذا يبقى من الشعر ؟ لا شيء .. لا شيء ابداً . ونزار مدرسة وحده ، نسيج وحده ، يتدفق مترعاً بالخصب ، انه يخلق وراء القصيدة جواً لدى القارئ ، هو قصائد حافلة بالتساؤل والحيرة ومداعبة الذكريات وهو الى ذلك يدفع الذهن الى الحلم والامل » وبعد ان يورد الكاتب بيتاً من شعر نزار يكشف عما فيه من روعة جمالية ، يختم مقاله بقوله « .. وان نزار في تغنيه باحراش الصنوبر وبالفستقيات ، وبالسواقي والبساتين ، وكل هذه السمات التي يتسم بها الوطن السوري ، لما يجعل منه درة فريدة في انتاجها الشعري منذ كان .. لقد سجل نزار اسمه في المبدعين من عباقرة وطننا ، وليس لنا الا ان نبارك جهده العظيم ، وان نصلي معه في « انت لي » و « طفولة نهد » وفي ديوانه الجديد « قصائد من نزار قباني » .

نزار ... وادب الالتزام

وما دمنا نتحدث عن نزار قباني وشعره ، فكم يحلو لنا ان نسمعه يتحدث هو عن انطباعاته فيما يرتبط بفنه من ناحية، وما يتصل بالحركة الادبية الجديدة التي ندعوها « الالتزام » من ناحية ثانية ، تلك الحركة البكر التي اخذت تنعكس قويةاشد ما تكون قوة ، عنيفة اعق ما تكون عنفاً في آثار ادبائنا وشعرائنا المحدثين ، حتى تكاد تسيطر عليهم فتفقدهم اصالتهم ، وحتى وصل الامر من الاغراق والتفريط الى حد ، قد يتعرض فيه انتاجنا الى لون متكلف رتيب ، لا يفصح عن ابداع واصالة ، لأنه لا يبرز تحسس الواقع ووعيه ، ولا يحدث تجديداً في الفكر والشعور ، ولذلك بدا لنا نزار في مقاله الافتتاحي الذي عقده في مجلة « التماد » بعنوان « الخبز والزنبق » ثائراً على « الالتزام » لأنه يجمد عملنا الفني ، ولا يحطم الاغلال التي ما برحنا نرسف فيها . .. يقول نزار « .. نحن نطلب من الجميل فوق ما يحتمل ، لم يعد يقنعنا طيب الزنبق ، نريد ان نأكل ورقه الابيض . واء دقائي الملتزمون – على اختلاف دعاواهم وقضاياهم – ليسوا سوى مبشرين بأكل الجمال .. ليسوا سوى اكلة زنبق .. هنا نختلف .. لأن الجمال يجب ان يبقى بمعزل عن « التصنيع » ومراكز الخدمات الاجتماعية .. الجمال يحمل ثوابه في نفسه . واذا جاز لي ان استعمل تعبير النفع كما يريد اصحاب الادب الاجتماعي .. فدعني اقول : ان المريض ينتفع برعشة القصيدة الجميلة اكثر مما ينتفع بجرعة الدواء ، ومن يدري ربما كان واقع الأغنية المونقة لدى المصدور ، اجدى من وقع شعاع الشمس على نافذته .. قلت في حديث سابق لي انني اضيق « بنظام السخرة » في الادب ، هذا النظام الذي جعل الوف القصائد العربية ، تمسح جباها باقدام الحاكم او الامير .. والالتزامية الحديثة كانامحها في آثار كتابها ، ليست سوى لون جديد من الوان « نظام السخرة » مع فارق واحد ، وهو ان المسخر « بكسر الخاء وتشديدها » كان في الماضي فرداً ، واصبح اليوم نظاماً اجتماعياً ، اي انا استبدلنا ديكتاتورية الفرد بديكتاتورية المجموع .. قد تقول لي ان ديكتاتورية المجموع هي عادلة وانسانية ، انا معك ، ولكنها مع هذا ديكتاتورية .. وادب الاديب لا يمكن ان يعيش في ظل أية ديكتاتورية مهما كان نوعها ، ومهما كانت اغراضها نبيلة . الا تصدقني ؟ اذن افتح اية مجلة ادبية واقرأ هذا الطوفان من القصائد عن قضية الجزائر ، لتعرف ان نبل القضية ومضمونها الاجتماعي ، لا يكفيان وحدهما لجعل القصيدة عظيمة ، اذا لم تكن عظمتها في كبرياء حروفها ، وجنون مسافاتها ، وروعة تصميمها .

وددت لو لم تقتل هذه المخلوقات المشوهة الى ثوار الجزائر .. فانهم بدونها بالف خير .. » ..

صدر حديثاً

رائعة طاغور الشعرية

البستاني

مجموعة شعرية عابثة بنغمة انسانية خالدة

عربها باسلوب مشرق

الدكتور بديع حقي

الثمن ١٢٥ قرشاً طبعة انيقة